اجمعون واستند لا لا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعمومها شيئا يعاينها معا
واما من عداهم فمن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم
تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه وارد حكما
شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم
ما روى عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ
ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية خصوصيتهم
اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها ح كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض
المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة
والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء
شرطها في الاخرين منهما اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا يتم الا به و
قد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي
لا محالة وقيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل
والخضوع وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كل ما ورد في القرآن من العبادة
فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا في كون بعض من الفريقين
الاخيرين ممن لا يجدى فيهم الاخيرين ممن وسعهم من الايمان وبعدم ايمانهم اصلا
اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم
بسوء اختيارهم كذلك لو ورد النص بذلك فلا جبر اصلا لا نم لتخصيص الخطاب
بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى
بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها
للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر تعليل وقد جوز
كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم
من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالقياس وقرئ خلقكم بادغام
القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب ومنهما قصد من
التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن
ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل من خلقهم من قبل خلقكم
فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة و

ضرورة

٣٣

ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم
التعرض لخلق ما عداهم من معاصيهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان
اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان
بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ من قبلكم باقحام
الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كاقحام اللام بين المضافين في لا اباك وبجعله موصوفا
بالظرف خبر المبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الموضوع
لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب
فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل
اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان
معاني الانشاء قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس
التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد
يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع
متصف بحيثية مصححة من غير ان يعتبر هناك توقع اصلا فان روعيت في الاية
الكريمة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل
فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها
لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل
منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة
تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل
بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون
منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي
ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه
ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو
العمدة في انتزاع الهيئة المشبهة بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة التركيب
المعتبر في التمثيل كما مر مرارا وان روعيت في المخاطب فالجملة حال اما من فاعل خلقكم
اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين
على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او على

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)